

الجيش:

كان الجيش خلال القرن الأول للهجرة يتكون في أساسه من العنصـر العربي بحكم أن العرب هـم مادة الإسلام، إلا أن ذلك لم يكن حـالـاً دون مشاركة بعض العناصر غير العربية التي دخلـتـ الإسلام كالـفـرسـ والـروـمـ وـغـيرـهـمـ منـ سـكـانـ الـمـنـاطـقـ الـشـرـقـيـةـ، مـثـلـ بـخـارـىـ وـسـمـرـقـدـ وـفـرغـانـهـ، وـقـدـ مـنـحـ هـوـلـاءـ حـقـوقـ المـقـاتـلـةـ العـرـبـ نـفـهـاـ مـنـ حـيـثـ العـطـاءـ وـالـرـزـقـ مـنـ أـجـلـ كـسـبـهـ لـلـإـسـلـامـ، كـمـاـ سـمـحـ لـهـذـهـ عـنـاصـرـ بـالـتـحـالـفـ وـالـارـتـياـطـ بـأـيـةـ قـبـيلـةـ شـاعـواـ أوـ الـاحـتـفـاطـ بـاستـقـالـلـتـهـمـ^(١).

هـنـاكـ فـنـةـ أـخـرىـ ضـمـنـ عـنـاصـرـ الجـيـشـ فـيـ الـعـصـرـ الـأـمـوـيـ هـيـ الـموـالـيـ الـعـنـاقـةـ أـيـ الرـفقـ الـذـيـ أـعـنـقـواـ مـنـ الدـوـلـةـ أـوـ مـنـ قـبـلـ أـسـيـادـهـ لـأـمـبـابـ عـدـيدـةـ، وـلـمـ يـكـنـ لـهـذـهـ فـنـةـ نـصـيـبـاـ فـيـ الـعـطـاءـ بـلـ اـشـتـرـكـواـ فـيـ الـمـعـارـكـ مـعـ أـسـيـادـهـ الـذـينـ تـرـبـطـهـمـ بـهـمـ رـابـطـةـ الـولـاءـ يـاخـذـونـ نـصـيـبـهـمـ مـنـ الـغـنـائـمـ فـقـطـ، كـمـاـ بـعـضـهـمـ كـانـ يـفـرـضـ لـهـمـ فـيـ الـعـطـاءـ إـلـاـ انـ عـطـائـهـمـ كـانـ أـقـلـ مـنـ عـطـاءـ الـمـقـاتـلـةـ الـعـرـبـ، وـمـنـ الـمـلـاحـظـ أـنـ السـلـطـةـ الـأـمـوـيـةـ اـتـجـهـتـ إـلـىـ زـيـادـةـ عـطـاءـ هـذـهـ فـنـةـ مـنـ الـموـالـيـ^(٢).

والـحـدـيـرـ بـالـذـكـرـ أـنـ الـمـؤـسـسـةـ الـعـرـبـيـةـ الـإـسـلـامـيـةـ طـوـلـ فـتـرـةـ الـإـسـلـامـ كـانـتـ تـعـتمـدـ عـلـىـ مـبـداـ الـأـمـةـ الـمـقـاتـلـةـ الـذـيـ اـثـبـتـ فـاعـلـيـةـ كـبـيرـةـ خـالـلـ عـصـرـ النـبـوـةـ وـالـخـلـافـةـ الـرـاشـدـةـ، إـذـ أـنـ الـمـقـاتـلـيـنـ كـانـوـاـ يـقـتـلـوـنـ مـنـ أـجـلـ الـعـقـيـدـةـ الـإـسـلـامـيـةـ وـيـعـدـوـنـ ذـلـكـ جـهـادـاـ فـيـ سـبـيلـ اللهـ لـنـشـرـ الـإـسـلـامـ وـتـوـسـعـ رـقـعةـ الـدـوـلـةـ الـعـرـبـيـةـ الـإـسـلـامـيـةـ. أـمـاـ فـيـ الـعـصـرـ الـأـمـوـيـ فـقـدـ حـرـصـ الـخـلـافـاءـ وـوـلـاتـهـمـ عـلـىـ الـأـمـصـارـ عـلـىـ أـنـ يـرـبـطـواـ مـصـلـحةـ الـقـيـائلـ الـعـرـبـيـةـ الـمـقـاتـلـةـ وـلـاـ سـيـمـاـ فـيـ بـلـادـ الشـامـ بـمـصـلـحةـ عـنـاصـرـ الجـيـشـ، غـيرـ أـنـ تـجـاحـ الـسـلـطـةـ الـمـرـكـزـيـةـ فـيـ الـأـقـالـيمـ الـبـعـيـدةـ عـنـ مـرـكـزـ الـدـوـلـةـ كـانـ يـتـوقفـ إـلـىـ حدـ كـبـيرـ عـلـىـ خـلقـ الـطـرـوـفـ وـالـأـوضـاعـ الـتـيـ تـحـفـزـ الـمـقـاتـلـيـنـ عـلـىـ الـمـشـارـكـةـ فـيـ الـحـرـبـ وـذـلـكـ مـنـ خـالـلـ تـوـثـيقـ الـعـلـاقـةـ الـجـيـدةـ بـيـنـ الـوـلـاءـ وـرـؤـسـاءـ الـقـيـائلـ هـنـاكـ^(٣). كـذـلـكـ عـدـ خـلـافـاءـ بـنـيـ أـمـيـةـ عـلـىـ اـنـتـهـاجـ سـيـاسـةـ خـاصـةـ فـيـ الشـامـ، فـجـعـلـوـاـ فـيـ كـلـ جـنـدـ مـنـ بـلـادـ الشـامـ قـبـيلـةـ مـعـيـنةـ فـسـكـنـ فـيـ جـنـدـ قـنـسـرـيـنـ قـيـائلـ قـيـسـيـةـ فـيـ غـالـيـتـهاـ، أـمـاـ جـنـدـ دـمـشـقـ فـقـدـ كـانـتـ غـالـيـةـ عـلـيـهاـ قـيـائلـ كـلـبـ وـجـنـامـ. فـيـ حـينـ كـانـ الـيـمـانـيـةـ غـالـيـةـ عـلـىـ جـنـدـ حـمـصـ، وـقـدـ كـانـ لـهـذـاـ الـاـجـراءـ أـثـرـاـ فـيـ إـيـعادـ الـقـيـائلـ وـلـوـ لـفـتـرـةـ مـحـدـودـةـ عـنـ الـصـرـاعـاتـ الـدـاخـلـيـةـ وـمـكـنـتـ الـخـلـافـاءـ الـأـمـوـيـنـ عـلـىـ أـنـ يـحـفـظـواـ التـواـزـيـنـ بـيـنـ هـذـهـ الـقـيـائلـ. وـقـدـ أـشـارـ الطـبـرـيـ إـلـىـ أـنـ بـعـضـ خـلـافـاءـ بـنـيـ أـمـيـةـ اوـ وـلـاتـهـمـ قـدـ قـامـوـاـ بـمـحاـولاتـ لـتـغـيـيرـ الـنـظـيـمـ الـعـسـكـريـ الـمـعـمـولـ بـهـ

(١) ابن سـعـدـ، الـطـبـقاتـ، جـ٢ـ، صـ٢٢٠ـ.

(٢) فـارـوقـ عـمـرـ وـآخـرـيـنـ، النـظـمـ الـإـسـلـامـيـةـ، بـغـادـرـ، ١٩٨٧ـ، صـ١٤٢ـ.

(٣) فـارـوقـ عـمـرـ وـآخـرـيـنـ، النـظـمـ الـإـسـلـامـيـةـ، صـ١٤٩ـ.

وإصلاحه عن طريق دمج القبائل وربطها برايطة جديدة أكثر قوة من رابطة القبليّة، فذكر أن الوالي الأموي أسد القرشي حاول سنة (١٠٧هـ) نقل الجنود من البروقان إلى بلخ وأسكنهم في هذه المدينة دون الأخذ بالتقسيم القبلي، حيث كان الجنود في البروقان منقسمين إلى أخْسَاس^(١). كذلك بذل الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك جهوداً كبيرة من أجل التخفيف من أثر النفوذ القبلي عندما أمر نصر بن سيار بن عبد الرحمن بأن يسقط من الديوان (العطاء) أسماء المقاتلة الذين يرفضون القتال، وأمره بأن لا يضغط عليهم، وأنه سيوجه إليه مقاتلة جدد من يرغب في القتال. مما يؤكد ادراك الخليفة بوجود بعض المقاتلة من لا يرغبون في القتال وليس للسلطة أن تحملهم على ذلك^(٢).

ولا شك أن غياب الجيش النظمي الدائم والمرتبط بالدولة قد جعل الخلافة الأموية تخضع لمبوب وأهواء شيوخ القبائل في أقاليم الدولة المختلفة، غير أنه لابد من الاشارة إلى وجود وحدات شبه نظامية دائمة في العصر الأموي مثل كتيبة الحرس الخاص بالخلافة التي اطلق عليها معاوية اسم (الغمامنة)، هذا بالإضافة إلى الكتائب التي كانت ترابط في المدن المهمة كما ظهرت أواخر العصر الأموي كتائب بأسماء قادتها وكانت أقرب إلى الفرق العسكرية النظمية وكان مروان بن محمد آخر خلفاءبني أمية قد أدخل نظام الكراديس أو الكتائب إلا أن الوالي الأموي أسد القرشي حاول سنة (١٠٧هـ) نقل الجنود من البروقان إلى بلخ وأسكنهم في هذه المدينة دون الأخذ بالتقسيم القبلي للمقاتلة بدلاً من الصفوف، ويعني هذا النظام من التعبئة العسكرية تقسيم الجيش إلى خمسة أقسام رئيسية، المقدمة ثم الميمنة ميسرة وقلب في الوسط، ثم كتيبة في الخلف وراء الجيش تعرف بالساقفة، وكانت هذه الكتائب تعبأ على شكل أهلة أو مرباعات أو مثلثات^(٣).

صنوف الجيش

كانت الصنوف الأساسية التي يتتألف منها الجيش العربي الإسلامي تتتألف من الخيلاء (الفرسان) والرجالية (المشاة) والرماة (النسابيون)، ثم اضفت إليها صنوف أخرى اقتضتها طبيعة المعركة ، مثل المنجنيقين ، والدبابين ، كما اقتضت الضرورة أيضاً إيجاد وحدات عسكرية أخرى كانت تقوم بتسيير كل مستلزمات المعركة من أدوات الحصار وشق الطرق ، وبناء المعسكرات

(١) الطبراني، تاريخ الطبراني، ج ٧، ص ٤١.

(٢) فاروق عمر وأخرين، النظم الإسلامية، ص ١٥١-١٥٢.

(٣) العبادي وأخرون، الحضارة الإسلامية، ١٩.

، وأخلاق الجريحى ، والتتجسس على العدو و منتشر فيما يأتي الى كل صنف من هذه الصنوف
لتتعرف على دوره وواجباته في المعركة.

١. الخليفة (الفرسان)

أهتم العرب بالخيل اهتماماً كبيراً ، ويعود هذا الاهتمام الى عهود مبكرة سبقت الاسلام ، وقد
ازدادت الحاجة الى الخيل في الاسلام ، لاسيما بعد فرض الجهاد لضرورتها في ماحات القتال ،
لهذا اقتاتها الرسول (ص) وشجع المسلمين على تربيتها تعليقاً لقوله تعالى : ((وادعوا لهم ما
استطعتم من فوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وأخرين من دونهم لا تعلمونهم الله
يعلمهم))^(١) ، وقال الرسول عنها ايضاً : ((الخيل في نواصيها الخير الى يوم القيمة ، اخذوا
من نسلها وباهاوا بسهيلها المشركين))^(٢) ، ولهذا فقد حرص العرب على اقتاتها والاكثر من عددها
من معركة الى أخرى ، فمن فرسين فقط كانوا مع المسلمين في معركة بدر ازداد العدد الى عشر
الاف في غزوة تبوك ، ويتضاعف أربع مرات أخرى ، حتى فيل ان الخليفة عمر بن الخطاب (رض)
ومن كان يحمل الناس على أربعين ألف فرس ^(٣).

لهذا ازدادت قوة الفرسان في عصر الراشدين ، حتى ان الخليفة عمر خصص قوات من الفرسان
تبلغ أربعة الاف فارس في كل مصر من الأمصار الاسلامية مهيئاً عند الضرورة لكون عدّة
البطوارى ، اذا ما تعرض ذلك المصر الى خطر مفاجى وقد تطورت فرق الفرسان بعد قيام الدولة
الأموية ، وتولى انتصارات العرب على جبهات القتال وكانت معظم القوة العربية الضاربة في
العصر الأموي تتّلّف من الفرسان بالنظر لأهمية هذا الصنف في تحرير النتائج النهائية للمعارك
، وكانت تقع على كثائب الفرسان واجبات عديد لما تمتاز به من سرعة الحركة والمناورة ، وقوّة
الصدمة ، ومن أهم هذه الواجبات الهجوم ، والالتفاف ، والمطاردة ، والاستطلاع ، والحماية ^(٤) .
اما أسلحة كتائب الفرسان ، فكانت تتّلّف من الاسلحه الرئيسية المعروفة ، وهي السيف
والرمح والقوس ، وقد استخدم الفرسان هذه الأسلحة جميعاً ببراعة فائقة.

(١) سورة الانفال : آية ٦٠.

(٢) محمد بن عمر بن واقد الواقدي ، كتاب المعازي ، تحقيق : مارسن جونس ، ط٢ ، بيروت ، عالم الكتب ، ١٩٨٤ ، ١٠٢٠ - ١٠١٩/٣.

(٣) محمود احمد محمد سليمان عواد ، الجيش والقتال في صدر الاسلام ، الاردن - الزرقاء ، مكتبة المدار ، ١٩٨٧ ، ص ٤١٦.

(٤) الجنابي ، تنظيمات الجيش ، ص ١١٧- ١١٩.

وامتاز على اعدائهم بذلك ، كما زودوا خيولهم بالركاب من الحديد في بداية العصر الأموي ، ويذكر أن المهلب بن أبي صفرة كان أول من اتخذ الركاب من الحديد وكانت الخيول تدرع ايضا بدروع من الجلد او الحديد لحمايتها من أسلحة العدو .^(١)

٢-الرجالـة (المشاة)

الرجالـة هـم الجنـد الذين يقاتـلون وـهم راجـلون ، كانوا يـولـفـون القـسـم الـاعـظـم من القـوـاتـ الـعـرـبيةـ،ـ وـمـهـمـتـهـمـ الـاـسـاسـيـةـ فـيـ القـتـالـ هيـ الـاصـطـدامـ الـمـباـشـرـ معـ العـدـوـ وـتـحـطـيمـ قـوـتهـ الرـئـيـسـيـةـ وـالتـقـدمـ فـيـ صـفـوفـ مـتـرـاـصـةـ وـفـيـ ثـيـاتـ وـمـنـ هـيـنـةـ مـلـقـيـ الرـعـبـ فـيـ جـنـوـدـ العـدـوـ،ـ معـ التـزـامـ الصـمـتـ الـتـامـ،ـ لأنـ الـهـدوـ وـالـصـمـتـ يـسـاعـدـانـ عـلـىـ الضـبـطـ وـذـقـةـ التـنـفـيـذـ،ـ وـكـانـواـ يـخـرـجـونـ عـنـ هـذـاـ الصـمـتـ لـتـكـبـيرـ فـيـ حـالـةـ مـقـتـلـ قـائـدـ العـدـوـ،ـ أـوـ فـارـ اـعـادـهـمـ،ـ بـحـيثـ يـكـونـ لـهـذـاـ التـكـبـيرـ أـثـرـهـ فـيـ اـفـزـاعـ قـلـوبـ الـاعـداءـ،ـ وـتـحـطـيمـ رـوـحـهـمـ الـمـعـنـوـيـةـ وـمـنـ وـاجـاتـهـمـ اـيـضاـ التـصـدـيـ لـقـوـاتـ الـفـرـسـانـ الـمـعـادـيـةـ،ـ وـابـطـالـ حـرـكـتـهـمـ،ـ وـابـعـادـ خـطـرـهـمـ عـنـ طـرـيقـ عـقـرـ خـيـولـهـمـ،ـ أـوـ اـفـزـاعـهـاـ وـتـغـيـرـهـاـ.ـ كـماـ يـكـلـفـ الرـجـالـةـ اـيـضاـ وـاجـبـ الـحرـسـاتـ،ـ أـوـ السـيـطـرـةـ عـلـىـ الـمـنـاطـقـ الـحـيـوـيـةـ مـثـلـ الـمـضـانـيـ،ـ الـوـدـيـانـ،ـ الـدـرـوـبـ،ـ وـكـانـ الرـجـالـةـ يـلـبـسـونـ الدـرـوـعـ الـوـاقـيـةـ مـنـ ضـرـبـاتـ العـدـوـ،ـ وـيـضـعـونـ عـلـىـ رـوـسـهـمـ الـخـوـدـ لـحـمـائـهـ.^(٢)

٣-الرـوـمـاـةـ (الـنـاشـابـونـ)

الرمـاـةـ هـمـ الجنـدـ الـذـينـ يـحـمـلـونـ الـأـقوـاسـ الـتـيـ يـرـمـونـ مـنـهـاـ السـهـامـ وـيـعـدـ هـذـاـ الصـنـفـ مـنـ الصـنـوـفـ الـاـسـاسـيـةـ لـلـقـوـاتـ الـعـرـبـيـةـ،ـ وـقـدـ بـرـعـ الرـعـبـ فـيـ اـسـتـخـدـامـ هـذـاـ السـلاـحـ إـلـىـ درـجـةـ كـبـيرـةـ وـفـاقـواـ اـعـادـهـمـ وـشـهـدـتـ مـعـارـكـ التـحرـيرـ الـأـوـلـيـ فـيـ عـصـرـ الـراـشـدـيـنـ نـمـاذـجـ مـنـ هـذـهـ الـبـرـاعـةـ،ـ فـقـدـ كـانـ لـخـادـ بـنـ الـوـلـدـ فـرـقةـ مـنـ الرـمـاـةـ،ـ كـانـ لـهـاـ دـورـاـ حـاسـمـاـ فـيـ اـحـرـازـ النـصـرـ عـنـ حـصـارـهـ لأـهـلـ الـأـيـارـ سـنـةـ ١٢ـ هـ / ٦٣٣ـ مـ،ـ فـتـشـيـرـ اـحـدـيـ روـاـيـاتـ الطـبـرـيـ^(٣)ـ،ـ إـلـىـ أـنـ خـالـدـاـ ((ـ تـقـدـمـ إـلـىـ رـمـانـهـ،ـ فـأـوـصـاهـمـ وـقـالـ أـنـيـ أـرـىـ أـقـوـاماـ لـاـ عـلـمـ لـهـمـ بـالـحـرـبـ،ـ فـأـرـمـواـ عـيـونـهـمـ وـلـاـ تـوـخـواـ غـيـرـهـاـ،ـ فـرـمـواـ رـشـقاـ وـاحـدـاـ ثـمـ تـابـعـوـ فـقـقـاءـ الـفـعـلـ عـيـنـ يـوـمـنـ فـسـمـيـتـ تـلـكـ الـوـاقـعـةـ ذاتـ الـعـيـونـ))ـ

وـقـدـ تـطـوـرـ هـذـاـ الصـنـفـ فـيـ الـقـوـاتـ الـعـرـبـيـةـ إـلـىـ درـجـةـ كـبـيرـةـ فـيـ العـصـرـ الـأـمـوـيـ حيثـ سـمـيـ الـعـرـبـ يـهـ وـاشـتـهـرـتـ فـيـ عـصـرـ الـأـمـوـيـ إـلـىـ جـانـبـ الـفـرقـ الـعـرـبـيـةـ فـرـقةـ مـنـ رـمـاـةـ الـبـصـرـةـ تـدـعـىـ الـبـلـخـارـيـةـ،ـ وـقـدـ أـسـلـفـاـ أـنـ عـيـيدـ اـشـدـ بـنـ زـيـادـ جـاءـ بـهـمـ مـنـ بـخـارـيـ وـأـسـكـنـهـمـ فـيـ اـحـدـيـ محلـاتـ الـبـصـرـةـ،ـ وـقـدـ نـقـلـهـمـ الـحـجـاجـ بـعـدـ بـنـاءـ وـاسـطـ إـلـىـ هـذـهـ الـمـدـيـنـةـ وـمـنـ الـمـحـلـمـ إـنـ اـسـتـخـدـمـهـ ضـمـنـ قـوـاتـهـ مـنـ

(١) الجنـانـيـ،ـ تـنظـيمـاتـ الـجـيشـ،ـ صـ ١٢١ـ ١٢٢ـ.

(٢) الجنـانـيـ،ـ تـنظـيمـاتـ الـجـيشـ،ـ صـ ١٢١ـ ١٢٢ـ.

(٣) الطـبـرـيـ،ـ تـارـيـخـ الرـسـلـ وـالـمـلـوكـ،ـ جـ ١ـ،ـ صـ ٥٦٠ـ.

جند الشام وكان للرماء دوراً كبيراً في المعارك التي غالباً ما تبدأ بترافق النبل لايقاع اكبر الخسائر في صفوف العدو ، ولكن دور الرماة يبر في الدفاع اكثراً من الهجوم ، لأن الرامي يكون في حالة الوقوف اكثراً دقة في الرمي والاصابة من الرامي المهاجم الذي قد تؤثر حركته على دقةه في التصويب ، لذلك فإن وضعها المضائق وفق أسوار المدن والقلاع يكون اكثراً فائدة^(١).

٤-المنحيقون والدبابون

وهؤلاء هم الجناد الذين يعملون على آللة المنجنيق لرمي جيوش الاعداء بالحصار والمواد الحارقة ، والذين يرافقون الدبابات التي تستخدم في التقرب إلى أسوار الاعداء لغرض هدمها ، أو احداث ثغرة فيها وهم من صنوف الجيش الفعالة ، لما لهذه الاسلحة من تأثير على سير الحروب وأرباك الجيوش ، لاسيما في حصار المدن وكانت بعض المجانق المستخدمة كبيرة جداً ، فقد كان لدى محمد بن القاسم التقى في حملته على السند منجنيق ضخم يقال له العروس ، يعمل عليه وقت الرمي خمسماة رجل ، نصبه على مدينة الدبيل (كراجي الحالية) فأصاب سارية المعبد الرئيس في المدينة الأمر الذي أدى إلى تطير العدو من ذلك وجزعه^(٢) ، وقد استخدمت المجانق في أماكن أخرى وضمن حملات عديدة في العصر الاموي ، ولاشك ان هذه المجانق الكثيرة كانت تتطلب اعداداً كافية من الرماة والعمال الذين يقومون بتنشيطها وتصيبها واصلاحها.

أما الدبابون ، فكان عملهم ينحصر في دفع الدبابة وهم مختصون في داخليها من حجارة الاعداء وسهامهم . وحينما يقتربون من أسوار العدو تبدأ مهمتهم الأساسية برمي المواد المشتعلة ، ونقب الأسوار بالمعاول والقوس بهدف احداث ثغرة فيها ، ويبدو أن صنف الدبابين كان ثالوثياً في العصر الاموي ، لعدم استخدام هذا السلاح على نطاق واسع : ومع هذا فقد وردت اشارات إلى استخدام الدبابة في الأندرلس من قبل موسى بن نصیر حينما حاول حصار مدينة ماردة ، فقد أمر بعمل ((دبابة قدب المسلمين تحتها الى برج من ابراجها ...))^(٣).

٥-الفعلة :

تطلبت الحروب الكثيرة التي خاضها الجيش العربي الاسلامي وجود قنادل متعددة من الرجال الذين لا يدخلون ضمن الصنوف المقاتلة ، لأن مهامهم كانت تتركز على الاعمال الادارية والقيام بشق الطرق وحفر الخنادق واقامة الجسور والقناطر وحفر الآبار وردم الخنادق وغيرها من العمليات التي تتطلبها طبيعة المعارك المتقطعة والمتشعة في العصر الاموي . وقد

(١) الجنابي ، تطبيقات الجيش ، ص ١٢٤.

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٤٢٤.

(٣) اخبار مجموعة ، ص ١٧.